إشكالات ثقافية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا: مقاربة تداوليّة

By
Prof. Aliyy Abolaji Abdurr-Razaq
Department of Arabic Language and Literature
Islamic University, Say, Republic of Niger
abolaji1978@yahoo.com

ملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قبيلة يوربا من أشهر القبائل المسلمة في كل من نيجيريا وبنين، وقد تمّت ترجمة معاني القرآن إلى لغة يوربا منذ ما يربو على خمسة عقود بصيغ مختلفة، وحظيت إحدى صيغ هذه الترجمات بشرف طباعة مجمّع الملك فهد لطباعة المصاحف في المدينة المنوّرة. وبما أن هذه النسخة المعتمدة –على رغم قيمتها- لا تخلو من بعض المشاكل الناتجة عن عدم منح العناية الكافية للاختلاف الثقافي بين اللغة العربية ولغة يوربا، رأى الباحث أن يقوم بمقاربة هذه الإشكالات مقاربة تداولية، لعلّ القائمين على هذه النسخة من الترجمة يتداركون الأمر في الطبعات القادمة، وذلك في إطار المحور الثاني من المحاور الفرعية للسنمارية، أمّا المنهج الذي سرت عليه في إجراء الدراسة فهو وصفيّ تحليليّ من خلال وصف المشاكل المتعلقة باختلاف الثقافة اللغوية بين العربية ويوربا، وإخضاع التحليل للمقاربتين التداولية والنصّيّة. فكان من أبرز النتائج المتوصّل إليها في الدراسة ما يلي:

- أن القائمين بهذه الترجمة اعتمدوا على معارفهم الإسلامية بشتّى تخصّصاتها.

- أنّهم اعتمدوا على معرفتهم العادية (غير العلمية اللسانية المتخصّصة) باللغتين.
- أنّ غياب هذا الجانب اللساني المتخصّص بفروعه العلميّة المختلفة أدّى إلى الإشكالات الثقافية اللغوية المشار إليها في ثنايا البحث

Abstract

The Yoruba tribe is among the most prominent Muslim ethnic groups in both Nigeria and Benin respectively. However, the meanings of the Qur'an have been translated into the Yoruba language for more than five decades in various versions, one of which earned the honor of being printed by the King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an in Madinah. Despite the great value of this officially approved version, it is not free from missing the targets arising from insufficient attention to the cultural differences between Arabic and Yoruba. The researcher therefore sought to address these issues through a pragmatic approach, with the hope that the compilers of this translation may consider these observations in future editions. The study adopted a descriptive-analytical method, describing the problems resulting from linguistic and cultural differences between Arabic and Yoruba, and analyzing them through pragmatic and textual approaches. The major findings of the study include the following:

1. The translators relied primarily on their Islamic knowledge across various fields.
2. They also depended on their general (non-specialized linguistic) knowledge of both languages.
3. The absence of specialized linguistic expertise in different subfields led to the cultural and linguistic problems discussed in the study.

مقدّمة

لترجمة القرآن الكريم إلى اللغات العالمية والمحلية المختلفة دور كبير في نشر الإسلام ومفاهيمه الغرّاء في أوساط غير الناطقين بالعربية من المسلمين وغيرهم، ومن المهمّ جدًا الحرص على جودة هذه الترجمات إلى أقصى درجة ممكنة، مما

يفرض مراجعة الترجمات المنجزة من شتّى الجوانب؛ بغية الوصول بها إلى أقصى درجة ممكنة من الجودة والدقّة ولله وحده الكمال المطلق. وبما أنّ الشعب اليورباوي المواطن في دولتي نيجيريا وبنين والمنتشر في جميع أصقاع الأرض بأغلبيّته المسلمة، يعدّ من أشهر الشعوب المسلمة في دول إفريقيا جنوب الصحراء، وقد تمّت عدّة ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغتهم منذ عقود من الزمن، وكان من أحدثها تلك الترجمة التي قام بها عدد من علماء يوربا، وتمّت مراجعتها وطباعتها من قبل مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بعنوان: القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى لغة اليوربا، بما أنّ الأمر كذلك رأى الباحث القيام بدراسة هذه النسخة من الترجمات من حيث إشكالات الاختلاف الثقافي بين اللغتين العربية ويوربا، مقاربا الدراسة مقاربة تداولية نصّيّة. اتّخذ الباحث سورة يوسف نموذجًا لإجراء الدراسة؛ لطولها وقصرها النسبيّين، لعلّ النتائج المتوصّل إليها كفيلة بلفت أنظار القائمين على هذه الترجمة من أبناء يوربا إلى أهمّيّة الانتباه لجانب التمكّن اللسانيّ المتخصّص في كلتا اللغتين عند إخراج الطبعات القادمة. يقوم البحث على ثلاثة محاور أساسيّة على النحو الآتي:

- الإطار النظري
- الإشكالات على المستوى المعجمي
- الإشكالات على المستوى التركيبي.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

الإطار النظري

نبذة عن قبيلة يوربا

تعدّ قبيلة يوربا من أشهر القبائل في نيجيريا، تعيش هذه القبيلة في ولايات الجنوب الغربي من البلاد (أويو Oyo، لاجوس Lagos، أوغن Ogun، أجزاء كبيرة من كوارا Kwara، أوشن Osun، أيكتي Ekiti، أوندو Ondo)، وللقبيلة وجود في كل

من جمهورية بنين Benin وتوجو Togo وسيراليون Sierra Leone والبرازيل وكوبا، وربما يعدّ ذلك من مخلّفات أيّام تجارة الرقيق في الدول الثلاث الأخيرة.(أبوبكر، ص ١٧٧) وتشتمل لغة يوربا على عدّة لهجات تم اختيار واحدة منها لاتخاذها مستوى معياريًّا للغة يدرس في المدارس وهي لهجة أويو Oyo.(الإلوري) ونسبة المسلمين بين أفراد هذه القبيلة لا تقلّ عن ٦٠%، إذ دخل الإسلام بلاد يوربا منذ القرن الثالث عشر الميلادي على أقل تقدير حسب المشهور لدى المؤرخين.

مفهوم الثقافة اللغوية

تختلف المجتمعات في مظاهرها الثقافية، وتعدّ اللغة من أبرز المظاهر الثقافية للمجتمعات، ولذلك نجد في اللغة حضورًا بارزًا للاختلاف الثقافي، وهذا الاختلاف الثقافي ما بين المجتمعات في اللغة من أبرز معوّقات الترجمة الدقيقة من وإلى اللغة، ففي لغة يوربا مثلا يشبّه الشجاع المقدام بالنمر فيقال Ekun، ويشبه وجيه القوم بالفيل فيقال: erin lomo إنه فيل، أمّا في هوسا فيشبه الأوّل بالأسد بالأسد Zaki، والثاني بالفيل Giwa. أمّا العربية فتختلف عن يوربا وتشترك مع هوسا في التشبيه بالأسد، وتختلف عن اللغتين في التشبيه الفيل، إذ إنّ الفيل في الثقافة العربية مرتبط بكبر الحجم وخفّة العقل غالبًا. وإذا قيل في نيجيريا مثلا: إن شخصا ما طويل الرجل (he has long leg)، فالثقافة اللغوية عندهم تقصد بهذه العبارة أن الشخص المعنيّ ذو علاقات، وعند غيرهم قد تعني العبارة شيئا آخر. (أبولاجي٢٠٢٣م، ٨٤)

نبذة عن التداولية

التداولية أو التداوليات أو البرغماتية أو البرجماتية أو الوظيفية أو السياقية، مصطلحات متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة pragmatics الأجنبية المشتقة من *pragma*، وتعني الحركة أو الفعل action ، بيد أن مصطلح التداولية هو الأكثر شيوعا بين الباحثين. والدال والواو واللام في اللغة أصلان أحدهما يدلّ

على تحوُّل الشيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء. والدولة: انقلاب الزمان من حال البؤس إلى حال الغبطة والسرور. (جواد م٢٠١٦، ١٣) ومن حيث الدلالة الاصطلاحية للتداولية أشار شارل موريس إلى ثلاثة مستويات للتحليل اللغوي: التركيب – الدلالة – التداولية، وأوضح أن هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامات ومؤوّليها، إلا أنّ المرحلة الحاسمة في تطور التداولية تزامنت مع أبحاث أَوْسْتِن وغِرَايْسْ في إطار فلسفة اللغة، لتنفتح بعد ذلك على روافد معرفية متعددة جعلتها ملتقى عدة تخصّصات. وقد تضافرت جهود المنظّرين لرفع الالتباس عن التداولية، إذ ذكرت آن ربول وجاك مورشلار أنها يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات. (جواد ٢٠١٦، ١٥) وتنص بعض هذه التعريفات على أنّ التداولية تتوخّى تعميق الفهم ببعض الظواهر الخطابية المتولّدة عن التواصل، من قبيل الحجاج والاستلزام الحواري والاقتضاء، وهي ظواهر تفرض نفسها وتطفو على السطح أثناء التخاطب البشري. (جواد ٢٠١٦، ١٨) وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإن معظمهم يُقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرُّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية" من ثَمَّ، جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي. (مسعود ٢٠٠٥م، ١٦) فحين يرى شارل موريس مثلا أنّ التداولية هي العلم الذي يعالج العلاقة بين الأدلّة ومؤوّليها، يستنتج من ذلك أنها علم يدرس الأدلة، وأنّ أيّة دراسة تداولية لا بد أن تهتمّ بالمتلقّي الذي يُعَدّ جزءًا من السياق. أمّا فَانْ دَايِكْ T. A.VAN DJIK فيعدّ التداولية تخصّصا يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية في نفس الوقت. (فرحات ٢٠١١م، ١٤٤) ومنذ ظهور الاتجاه

التداولي مع خمسينيّات القرن العشرين جعل من أبرز مباحثه الإشاريّات، والافتراض المسبق،(مطر ٢٠٢١م، ١٤٥) والاستلزام الحواري، (حويذق ٢٠٢٢م، ٨٣) ونظرية الفعل الكلامي، أو الأفعال الكلامية، أو أفعال الكلام،(مسعود ٢٠٠٥م، ٨٦) والحجاج أو المحاججة.(إبراهيم وإسحاق، د.ت ٢٩)

الإشكالات الثقافية على المستوى المعجمي

تتمظهر الإشكالات الثقافية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا على المستوى المعجمي في سورة يوسف في عدد من القضايا المعجمية أبرزها (المتصاحبات اللفظية، التعبيرات الاصطلاحية، الفجوة المعجمية).

المتصاحبات اللفظية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا:

تأتي الوحدة المعجمية في صورتين:الوحدة المعجمية المفردة، حين تكون على صورة جذر لغوي واحد كما في (باب) و(قتل) مثلًا، والوحدة المعجمية المركبة (الضمائم)، وهي التي تشتمل على أكثر من جذر لغوي واحد، ولها صورتان هما: المتصاحبات اللفظية والتعابير الاصطلاحية. (زكية ٢٠٠٦م، ٦٥) وتمرّ الوحدة المعجمية المركبة في أثناء تشكلها بثلاث مراحل هي: مرحلة النشأة والتوليد، ومرحلة الثبات في الاستعمال- وهنا تتشكل المتصاحبات اللفظية- وأخيرًا مرحلة التحجر والتكلس حيث تتشكل التعابير الاصطلاحية. (منية ٢٠٠٦م، ٢٣١)

يعدّ فيرث -في نظريته السياقية- أوّلَ من لفت النظر إلى دراسة الوحدات المعجمية المركبة؛ إذ إن لكل كلمة من أخرى تتضامّ معها في السياق حسب نظريته. (جون لاينز ١٩٨٧م، ١٠٢) ونتج عن ذلك مفهوم "الرصف" (Collocation) الذي عرّفه أولمان Ullman بأنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة".(Ullman، د.ت، ١٥) وعرّف عدد من العلماء هذا المفهوم بتعريفات متعددة، بين من قال إنه "استعمال وحدةٍ معجميةٍ مرتبطةً بأخرى في الغالب، وهما في الأصل وحدتان منفصلتان"،(Hartman ١٩٧٢م، ٤١)

وبين من عرّفه بـ:"تجمع تركيبي جاهز تلازمت مفرداته بحيث يستدعي ذكر إحداها ذكر الأخرى، ثم تواتر استعماله بين أفراد الجماعة اللغوية، وهو قابل للفك والاستبدال، ويخضع للعرف لا للمنطق". (مراد ٢٠٠٦م، ٢٣) ويعني ذلك أن "المتصاحبات اللفظية" قابلة للتقلب والتلون حسب تقلب ثقافة المجتمع وقوانين التطور اللغوي. (نوال ٢٠١٢م، ١٤) ومثل ذلك تعريفه بـ: "توارد أو تلازم كلمتين أو أكثر بصورة شائعة في اللغة، وذلك للتماثل بين الملامح المعجمية المكوّنة لكل كلمة منهما، ولا يكون هذا التلازم إجباريًّا، كما لا يشكّل التعبير السياقي وحدةً دلاليةً أو نحويةً واحدةً". (القاسمي، د.ت، ٢٨)

لقد تعرّض بعض اللغويين العرب القدامى لهذه الظاهرة وإن لم يسموها؛ فقد أشار الجاحظ مثلاً إلى وجود ألفاظ في القرآن الكريم لا تكاد تفترق، كالصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس. (الجاحظ ١٩٨٥م، ٢١) كما ذكر الثعالبي أمثلةً لبعض المتصاحبات اللفظية، كقولهم لشديد السواد: أسود حالك، ولشديد الاصفرار: أصفر فاقع، ولشديد الاحمرار: أحمر قانٍ. (الثعالبي ١٩٧٦م، ١٠٦)

تعدّ ظاهرة المتصاحبات اللفظية من أبرز الإشكالات الثقافية التي واجهت مترجمي معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا، ومن أمثلة ذلك ترجمتهم لقوله تعالى: (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) (سورة يوسف ٢٣) بقولهم: Atipe (obinrin) ti on wa ninu ile re si nfe e fun ara re. وعبارة المراودة عن النفس متصاحبة لفظية في اللغة العربية يفيد فرض ما لا يريده الآخر عليه من ناحية العلاقات الحميمية أو ما يشبهها، ففي المعجم الوسيط: "راود المرأة عن نفسها: طلب أن يفجر بها". (مجمع اللغة ١٩٧٢م، ٣٨١) كلمة النفس في العبارة تتعلق بالطرف المستقبل للمراودة لا الطرف الذي صدرت المراودة منه. وهذه الترجمة اليورباوية للعبارة تعني حرفيًا: طلبته لنفسها المرأة التي هو في بيته، وهذه

الترجمة بعيدة عن المقصود بعبارة المراودة عن النفس. ومثل هذه الترجمة غير الموفّقة هي الحاصلة في جميع مواقع ورود عبارة المراودة عن النفس في السورة الكريمة. وأرى أن الترجمة الدقيقة للعبارة يمكن أن تكون: o nti arare ma lorun ويعني ذلك حرفيا أنها تعرض نفسها عليه.

ومثل ذلك ترجمتهم لقوله تعالى (قد شغفها حبًّا) (سورة يوسف، ٣٠) بقولهم: .ife re ko si i Lokàn، وهذه العبارة اليورباوية تعني حرفيًّا: دخل حبه في قلبها، وأقترح أن تكون الترجمة: o ti yo Ife re التي تعني حرفيا: قد امتلأتْ بحبّه، كما تفيد العبارة العربية الواردة في القرآن الكريم، ففي المعجم الوسيط "شغفه: ... أصاب قلبَه". (الوسيط ، ٤٨٦)

التعبيرات الاصطلاحية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا:

كانت ظاهرة التعبيرات الاصطلاحية موضع اهتمام اللغويين قديمًا وحديثًا، فقد تعرّض لها العلماء القدامى من أمثال الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)، والزمخشري في كتابه (أساس البلاغة)، وكان تناولهم لها تحت مصطلحات متباينة نحو المثل، والتمثيل، والمماثلة، والقول السائر، والكناية وغيرها. (حسام الدين١٩٨٥م، ٣٥)

ولعلّ من أشهر المصطلحات العربية التي تطلق على هذا المفهوم حديثًا: "الكليشة، والتعبيرات الجاهزة، والصيغ المسكوكة، والخوالف، والعبارات المعيارية العرفية، والتراكيب الثابتة، والمُقَوْلَبَة، والمتحجّرة، والتعابير الاصطلاحية". (سالم، د.ت، ١١٢) على أن هذه الدراسة ستسير على المصطلح الأخير الذي تعوّد القاسمي إطلاقه مقابلاً لمصطلح Idioms الأجنبي. (القاسمي، د.ت، ٨٦)

يعدّ التعبير تعبيرًا اصطلاحيًّا بـ"اجتماع كلمتين أو أكثر بحيث تعملان كوحدة دلالية واحدة". (القاسمي، د.ت، ٢٥) أي ضمّ لفظين أو أكثر بعضهما إلى البعض

بحيث يدلّ المجموع (لا الأفراد) دلالة لفظ واحد، فالتعبير (أبو عذرتها) مثلاً تعبير اصطلاحي دلّ بمجموعه (لا بمفرداته مستقلّةً) على مخترع الشيء أو مبدعه.

نقلتْ ثناء سالم عن (هيلي) اختبارات ثلاثة لتحديد مفهوم التعابير الاصطلاحية، وتتمثّل فيما يلي:

- اختبار الإحلال والإبدال
- اختبار إمكانية التنبؤ
- اختبار التحويل أو التحوير. (قويدر ٢٠٠٠م، ٢٤)

وغير بعيد عن هذه الاختبارات الجهد الذي بذله القاسمي في رسم الحدود الفاصلة بين هذا النمط من التعبير والأنماط الأخرى المشابهة له من المتصاحبات اللفظية والأمثال والكنايات والاستعارات، فقد توصّل القاسمي إلى نتيجة مفادها أن تمييز التعبيرات الاصطلاحية من غيرها عمومًا لا يتم إلا باستخدام حسّنا اللغوي مع التحليل البنيوي والتحليل الدلالي للعبارة. (القاسمي، د.ت، ٨٦) وتفصيل رأي القاسمي من حيث التحليل البنيوي أن التعبير الاصطلاحي -بوصفه وحدةً دلاليةً واحدة- غير قابل للحذف منه أو التغيير فيه، فلا نستطيع حذف الحرف الذي يؤلف جزءًا من التعبير الاصطلاحي، كما لا يمكننا الاستعاضة عن فعله أو اسمه أو حرفه بأفعال أو أسماء أو حروف مماثلة له في المعنى، فالتعبير الاصطلاحي (على قدم وساق) على سبيل المثال لا يمكن فيه استبدال الحرف (ب) بالحرف (على). لكن إمكان استبدال ضمير التأنيث في التعبير الاصطلاحي (أبو عذرها) بضمير آخر حسب سياق الخطاب يحوج هذا التحليل البنيوي إلى التقييد أكثر بدل هذا الإطلاق؛ مثل أن يقال: إن التعبير الاصطلاحي غير قابل لحذف الألفاظ الأساسية فيه أو استبدالها بغيرها من الألفاظ المشابهة لها في المعنى.

أما من حيث التحليل الدلالي فهو ما سلف من أن التعبير الاصطلاحي يتألف من كلمتين أو أكثر بشرط أن تشكّلا وحدةً دلاليةً واحدة، ويُتَثَبَّتُ من ذلك بمدى قابلية التعبير الاصطلاحي للاستعاضة عنه بكلمة واحدة تؤدّي المعنى نفسه، فالتعبير الاصطلاحي السابق (أبو عذرتها) مثلاً يمكن الاستعاضة عنه بكلمة (مكتشف أو مبدع)، بالإضافة إلى أنه متحوّل عن معناه الحرفي إلى معنى عرفي اصطلحت عليه الجماعة اللغوية في لغة ما في بيئة لغوية ما، ويتّسم بالغموض والمجازية. (سالم، د.ت، ١٠٧)

لا يخفى أن التعبيرات الاصطلاحية تعدّ من أصعب الظواهر اللغويّة على غير الناطق الأصلي باللغة، ولعلّ ذلك هو ما أدّى إلى غرابة ترجمة قوله تعالى (فصبر جميل) (سورة يوسف، ١٨) بقولهم: nitori na *suru ni o daraju*، إذ إن العبارة صبر جميل في هذا السياق تعبير اصطلاحي يطلقه الشخص المصاب بمصيبة ما على نحو ما يقول الآخر مثلا: إنا لله وإنا إليه راجعون، فعبارات من هذا القبيل ينجز بها الفعل التعبيري من الأفعال الكلامية، ويعنى به في هذا السياق التنفيس عن النفس وتسليتها. أما ترجمتها اليوروباوية فهي تنطلق من المعنى الحرفي للعبارة العربية دون أدنى اعتبار لوضعها الاصطلاحي وما ينجز بها من الأفعال الكلامية. حتى في حالة السير على التفسير الصوري للعبارة لدى بعض المفسّرين الذي يرون أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (صبري صبر جميل)، فإن هذه الترجمة اليوروباويّة بعيدة رغم كذلك عن معنى الآية؛ إذ تعني العبارة اليوروباوية: الصبر جميل. ويرى الباحث أن تكون الترجمة الدقيقة للعبارة: a fi suru بمعنى لا بد من الصبر، أو mo gba kamu بمعنى استسلمت لقضاء الله، فهي العبارات التي تطلق لإنجاز الفعل التعبيري في مثل هذا السياق.

ولا يبعد عما سبق ترجمتهم لقوله تعالى (يا بشرى) (سورة يوسف ١٩) بقولهم: ire idunnu re!، إذ تناسوا طبيعة التعبير الاصطلاحي في العبارة التي يطلقها

العربي لإنجاز الفعل الكلامي التعبير يالذي يمكن تسميته في هذا السياق بالتعبير عن شدّة الفرح، ففي حين ترجمت العبارة حرفيًّا يقترح الباحث أن تكون الترجمة الدقيقة: mo se orire التي تعني حرفيا: لقد سعدت، فهي عبارة يطلقها اليورباويّون لإنجاز الفعل التعبيري المتمثّل في التعبير عن الفرح المفاجئ. وهذا التأويل يتوافق مع ما ورد في تفسير القرطبي "...قال قتادة: بشّر أصحابه بأنّه وجد عبدًا... قال النحاس: قول قتادة أولى؛ ...". (القرطبي، د.، ١٥٣)

الفجوة المعجمية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا:

توجد خمس ملكات تتفاعل فيما بينها لدى مستعمل اللغة الطبيعية لتمكّنه من إنتاج العبارات اللغوية أو تأويلها عند التواصل مع غيره، وهي: الملكة اللغوية، والملكة المعرفية، والملكة المنطقية، والملكة الإدراكية (الحسية)، والملكة الاجتماعية. (المتوكل، د.ت، ١٣٥) ويعني هذا القول أن نجاح عملية الإحالة مرهون بقيام كل واحدة من هذه الملكات بوظائفها كلّما تطلّب الموقف. وفيما يتعلق بالملكة الإدراكية الحسّيّة على وجه الخصوص، لا يمكن نجاح عملية الإحالة على ذاتٍ ما، ما لم يكن لدى المخاطب تمثيل ذهني لهذه الذات. (المتوكل، د.ت، ١٤٠) ومن أمثلة ذلك أن المعاني التي توجد في ثقافة ما قد لا توجد في ثقافة أخرى، فالبطاطس Potato لم تكن معروفةً في أوروبا قبل أن يحضرها الإسبانيون. (صيني، د.ت، ٦٠)

وتعدّ ظاهرة الفجوة المعجمية (Lexical Gap) إحدى نتائج الحالة السابقة، حيث تكون اللغة الأم لمستعمل اللغة الهدف خاليةً من بعض الوحدات المعجمية المشتملة عليها اللغة الهدف أو العكس، مما يترك لديه فجوةً معجميةً، فيقع في أخطاء دلالية اجتهادية عند استعمال بعض الوحدات المعجمية، إمّا بتضييق دلالة الوحدة، وإمّا بتوسيعها، وإمّا بالترجمة المباشرة.

سنقف على شواهد من تأثير الفجوة المعجمية بين اللغتين العربية ويوربا في الإشكالات الثقافية التي وقع فيها مترجمو القرآن الكريم إلى لغة يوربا على النحو الآتي:

في ترجمة قوله تعالى (لا تقصص رؤياك على إخوتك)، (سورة يوسف:٥) قالوا:re masero ala re fun awon arakunrin، حيث ترجموا كلمة الإخوة إلى معنى قريب من (أصحاب) على نحو ما في قوله تعالى: (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة)، (سورة يوسف:٨) فقد قال القرطبي في المعاني المحتملة لكلمة الأخ في هذه الآية الكريمة: "أي على ديني... وقيل: أخي أي صاحبي". (القرطبي) وهكذا ترجموا الكلمة في جل الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة في السورة. وتتمثّل الفجوة المعجمية هنا في اشتمال العربية على كلمة الأخ بمعنى صاحب، بمعنى الأخ من أب واحد، ويميّزون الأخ من الأمّ بذكر صفة الشقيق مع كلمة الأخ، أو الاكتفاء بكلمة الشقيق. أما في لغة يوربا فكلمة Omo iya المقابلة لكلمة الأخ تستعمل للأخ الشقيق كما تستعمل مجازًا للأخ غير الشقيق وللصاحب كما في العربية، وتوجد في لغة يوربا كلمة خاصة للدلالة على الأخ غير الشقيق (Obakan) ولا أعتقد أن لها مقابلا في العربية، وهي الكلمة المناسبة لترجمة الإخوة في هذه الآية من سورة يوسف.

وفي الآية (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا) (سورة يوسف: ٥٨) ترجموا الأخ الشقيق بمعنى الصاحب كما فعلوا في الآية السابقة (Dajudaju Yusufu ati arakunrin re je ayanfe lodo baba wa ju awa lo,)، والترجمة الدقيقة هنا هي: Omo iya التي تفيد الأخ الشقيق في لغة يوربا.

وهكذا ترجموا الإخوة في قوله تعالى تعالى (وجاء إخوة يوسف) (سورة يوسف:٦٣) بقولهم:.Atipe awon arakunrin yusufu de بمعنى الأصحاب أيضا، والترجمة الدقيقة هي Obakan بمعنى الإخوة غير الأشقاء.

وفي قوله تعالى: (فأرسل معنا أخانا)، (سورة يوسف:٥٩) قالوا: nitorina je ki arakunrin wa ba wa lo ترجموا الأخ بمعنى الصاحب. والصحيح أن يقولواObakan أو Omo iya تجاوزًا.

أما في قوله تعالى (ايتوني بأخ لكم من أبيكم)، (سورة يوسف:٥٩) فقد خالفوا ترجمتهم السابقة إذ قالوا:., owipe: Emu omo -Iya nyin wa lati odo baba-yin، وذلك بترجمة كلمة الأخ إلى Omo-Iya بمعنى الأخ الشقيق أو الأخ، لا بمعنى الصاحب كما تعوّدوا في الآيات السابقة.

وفي قوله تعالى (أحسن مثواي) (سورة يوسف:٢٣) تتمثّل الفجوة المعجمية في أنّ كلمة المثوى في العربية تصلح للدلالة على اسم المكان كما تدلّ على المصدر الميمي، ويبدو في سياق الاية الكريمة أن الكلمة تفيد دلالة المصدر الميمي، بمعنى أنه أحسن إيواءه. لكن المترجمين اليوروباويّين ترجموا الكلمة بإحدى دلالتيها وهي دلالة اسم المكان (o si ti tun aye ibugbe mi se)، أي أحسن مكان سكني بدلا من أن يقولوا مثلا: O gba mi sile daradara بمعنى أحسن إيوائي وإسكاني.

الإشكالات الثقافية على المستوى التركيبي

يمكن تصنيف الإشكالات الثقافية التي عثر عليها الباحث على المستوى التركيبي في ترجمة سورة يوسف إلى لغة يوربا في ثلاثة محاور وهي:مؤشرات القوى الحجاجية أو العوامل الحجاجية، وتداولية التعريف والتنكير بين اللغتين، وإشكالات الصيغ الصرفية.

مؤشرات القوى الحجاجية أو العوامل الحجاجية

تشتمل اللغة العربية مثل غيرها من اللغات على عبارات لغوية تعدّ مؤشرات أو عوامل حجاجية تساعد في تحديد وتقييد الإمكانات الحجاجية للملفوظات التي تساق حججا لنتائج معيّنة تذكر صراحة في الكلام أو لا تذكر.

ومن أمثلة الإشكالات المتعلقة بهذا الجانب في الترجمة اليورباوية لسورة يوسف ترجمة قوله تعالى (فيكيدوا لك كيدًا) (سورة يوسف:٥) بقولهم:nitoripe nwon yio da ete si o، فقد أهملوا في هذه الترجمة كلمة (كيدًا) التي تعدّ عاملا حجاجيًّا في هذه الآية الكريمة يؤكّد مدى حجم الكيد الذي قد يحوكه إخوته ضدّه، ليزداد حذرًا منهم، ولذلك يقترح الباحث أن تكون الترجمة الدقيقة للآية الكريمة: nitoripe nwon yio da ete nla si o.

وفي قوله تعالى (وغلّقت الأبواب)، (سورة يوسف:٢٣) أهمل المترجمون القوّة الحجاجية التي تحققها صيغة (فعّل) في كلمة (غلّقت)، فقالوا في الترجمة: o si ti ilekun، بمعنى أغلقت الباب، ويرى الباحث أن الأنسب أن يقولوا: o si ti Ilekun gbonngbonin ليؤدّوا القوّة الحجاجية المتضمّنة في صيغة (فعّل) في الآية الكريمة، والمعنى الحرفي للترجمة المقترحة هو: أغلقت الباب بإحكام.

تداولية التعريف والتنكير بين العربية ويوربا

يهمّنا من أنواع المعارف في هذا المبحث ما سمّاه المبرّد بـ"ما أدخلت عليه ألفًا ولامًا من هذه الأسماء المشتركة، وذلك قولك: جاءني الرجُل، ولقيت الغلام؛ لأن معناه: الرجل الذي تعلم، والغلام الذي قد عرفت". (المبرد، د.ت، ١٧٩) لقد قسّم النحاة (ال) إلى قسمين أساسيّين؛ فهي عند ابن هشام "إمّا جنسية ....نحو (وخلق الإنسان ضعيفًا)... وإمّا عهدية، والعهد ذكريّ نحو (فعصى فرعون الرسول) أو علميّ نحو (بالوادي المقدّس) (إذ هما في الغار) أو حضوري نحو (اليوم أكملت لكم دينكم)". (الأنصاري، د.ت، ١٧٩)

وعلى الرغم من حضور البعد التداولي لهاتين الظاهرتين بشكلٍ ما في كتب التراث كما لمحنا في نص المبرد السابق، إلا أن هذا البعد غير حاضر في الكتب الشائعة لتعليم قواعد اللغة العربية. ولعلّ مفهوم الافتراض المسبق (Pre-supposition) يعدّ من أكثر الإجراءات التداولية أهميةً عند التعامل مع الظاهرتين المتناوبتين

على بعض عناصر الخطاب، ويُعْنَى بهذا المفهوم المعطيات المسلّم بها والمتفق عليها بين أطراف الخطاب، وهذه المعطيات تشكّل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وعند غياب هذه الخلفية التواصلية يصعب التفاهم بين المتخاطبين. (صحراوي، ٢٠٠٥م، ٣٢)

للنحو الوظيفي مقاربة أخرى لظاهرتي التنكير والتعريف، تتمثّل في افتراض أن الإحالة بوجه عام إحالتان: إحالة بناء، وإحالة تعيين، تكون الإحالة الأولى "حين يستعمل المتكلم الحدّ (المتوكل،١٩٩٥م، ١٣٣) ليتيح للمخاطب أن يبني الذات للحد وأن يدرج بالتالي الذات في نموذجه الذهني (Mental Model)"، وتكون الثانية حين "يستعمل المتكلم الحد ليتيح للمخاطب أن يتعرف على الذات". (المتوكل،١٩٩٥م، ١٣٤) والمثال التالي يميّز بين الإحالتين:

اشتريت كتابًا البارحة، بدأت أقرأ ذلك الكتاب اليوم

حيث تحيل كلمة (كتابًا) على ذات غير معلومة لدى المخاطب زمن التكلم، ويطلب منه المتكلم تصورها وبناءها ثم إضافتها إلى مخزونه الذهني، كما تحيل العبارة (ذلك الكتاب) على الذات نفسها لكن بعد أن أصبحت معلومةً ومدرجةً في المخزون الذهني للمخاطب، مما يعني أن الإحالتين مترابطتان بحيث لا تتم الثانية إلا بالأولى. (المتوكل،١٩٩٥م، ١٣٣) ويميّز بين الإحالتين بنيويًّا أن الاسم المحيل إحالةَ بناءٍ يرد منكّرًا في حين يرد نظيره المحيل إحالةَ تعيينٍ معرّفًا كما في المثال أعلاه. (المتوكل،١٩٩٥م، ١٣٧)

هذه هي خلاصة القول بشأن التعريف والتنكير في اللغة العربية ببعدهما التداولي، وإن كان هذا البعد التداولي غير حاضر بوضوح في الكتب النحوية المدرسية، وسنرى انعكاس غياب البعد التداولي في التناول النحوي للظاهرة في الترجمات غير الموفّقة لبعض الآيات في سورة يوسف.

في قوله تعالى مثلا (وجاءت سيّارة) (سورة يوسف:١٩) قالوا في ترجمته Awon oni irin ajo si de,. معلوم أن مورفيم التنكير في اللغة العربية مورفيم صفري يتمثّل في تجريد الكلمة من علامة التعريف، في حين أن التنكير في لغة يوربا يؤدّى بمورفيم Kan، مما يفرض في هذا السياق أن يقال في الترجمة Awon oni irin ajo kan de، وإلا فالترجمة ستفتقر على دلالة إحالة البناء التي يفيدها المورفيم الصفري الذي يفيد التنكير في اللغة العربية.

سبقت الإشارة إلى أن مورفيم التعريف في العربية منه ما يفيد الجنس (أل الجنسية)، وهو الوارد في قوله تعالى (وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض)، (سورة يوسف ٢١) حيث تفيد (ال) في كلمة الأرض الجنس، ومعلوم أن دلالة (ال) الجنسية قريبة من دلالة التنكير لعموم دلالة الكلمة على الجنس المعيّن. وفي لغة يوربا يوسم التعريف بمورفيم naa كما يوسم التنكير بمورفيم kan، أما المعرفة الجنسية المتوسّطة بين المعرفة والنكرة في اللغة العربية، فلها في لغة يوربا مورفيم صفري يتمثّل في تجريد الاسم من مورفيمي التعريف والتنكير، ولذلك لا تعدّ الترجمة الآتية دقيقة للآية الكريمة bayi ni a se Yusufu ni eniti o ni ipo lori ile na.فالمورفيم na هنا لا داعي له، لأنه يفيد في لغة يوربا التعريف العهدي، وليس بمقصود هنا. ويقترح الباحث تجريد الكلمة من المورفيم المذكور.

ومثل ذلك في قوله تعالى (حصحص الحق) (سورة يوسف: ٥١) الذي قالوا في ترجمته otito naa Han، كان من الأولى تجريد الكلمة من مورفيم naa.

إشكالات الصيغ الصرفية

بما أن اللغة العربية لغة اشتقاقية، ولغة يوربا من اللغات العازلة في جل ظواهرها الصرفية والتركيبية، فلا غرو أن تتباين اللغتان في هذا الصدد، فما تعبّر عنه اللغة العربية صرفيًّا كثيرًا ما تعبّر عنه لغة يوربا معجميًّا، وكان لذلك تأثيره الواضح في ترجمات بعض العبارات العربية ذات الصلة بدلالات الصيغ في

سورة يوسف.

لنتأمّل ترجمتهم لقوله تعالى مثلا (هذه بضاعتنا ردّت إلينا)، (يوسف:٦٥) فصيغة البناء للمجهول في كلمة ردّت، لا مقابل صرفي لها في لغة يوربا، فكثيرًا ما يستخدم اليورباويّون في التعبير عن البناء للمجهول بضمير الغائبين، فحيث يقال مثلا: فُتِحَ الباب، يقول اليورباوي: won si Ona، والمعنى الحرفي لهذه الجملة هو: فتحوا الباب. أما في النصوص الدينية التي يكون الفاعل غير المذكور فيها هو الله سبحانه وتعالى، فالمألوف في الترجمة اليورباوية أن يستخدموا ضمير المتكلّم ومعه غيره للتعبير عن البناء للمجهول، فيقال في ترجمة (قُضِيَ الأمر) حيث يكون الفاعل غير المذكور هو الله مثلا، يقال: A ti yanju Oro na، والمعنى الحرفي للجملة هو: قضينا الأمر. خلاصة القول أن التعبير عن البناء للمجهول في لغة يوربا يتمّ بإحدى طريقتين: ضمير الغائبين غالبا، وضمير المتكلّم ومعه غيره في حالة كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

ولعل هذا هو ما دفعهم لترجمة الآية المذكورة بقولهمÒwo wa niyi a ti da a padafun wa، والمعنى الحرفي لهذه الترجمة هو: هذه بضاعتنا رددناها إلينا، فلو قالوا في الترجمة مثلا: won ti da a pada funwa لخلت الترجمة من الركاكة الحاصلة باستخدام نفس الضمير مرّتين في نفس الجملة للإحالة إلى عنصرين مختلفين، كما أن الفاعل المعنيّ في الآية الكريمة ليس هو الله سبحانه وتعالى.

ومثل ذللك يقال في ترجمتهم لقوله تعالى (إلا أن يحاط بكم) (يوسف:٦٦) بقولهم ayafi ti a ba ka nyin mo، والمعنى الحرفي لهذه الترجمة هو: (إلا أن نحيط بكم).

الخاتمة

بعد عرض نماذج من الإشكالات الثقافية الحاصلة في ترجمة سورة يوسف على لغة يوربا، باعتبار هذه السورة نموذج يمكن الانطلاق منه للحكم على جوانب

القصور الموجودة في النسخة المعتمدة من ترجمة القرآن الكريم إلى لغة يوربا، توصّل الباحث إلى النتائج الآتية:

- اشتملت النسخة المعتمدة من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا على إشكالات ثقافية عدّة.
- كان لإهمال التخصص اللغوي بفروعه المختلفة أثره السلبي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا.
- يعدّ الجانب التداولي من أبرز الجوانب التي تحتاج للمراجعة في النسخة المعتمدة من الترجمة
- تمثّل ظواهر المتصاحبات اللفظية والتراكيب الاصطلاحية والفجوة المعجمية أبرز مشاكل هذه الترجمة على المستوى المعجمي، انطلاقا من ترجمة سورة يوسف.
- تعدّ قضايا مؤشرات القوى الحجاجية وتداولية التعريف والتنكير والصيغ الصرفية من أبرز الإشكالات عل المستوى التركيبي في هذه النسخة المعتمدة من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا.
- لا يدّعي الباحث أن النتائج المتوصّل إليها من خلال سورة يوسف كافية لإصدار حكم عام على كامل ترجمة القرآن الكريم إلى لغة يوربا.

المراجع

١ Abubakar, R. D. (n.d.). Aspects of Religious Understanding in the Yoruba Folk Music. In Ugo Bianchi (Ed.), The Notion of Religion in Comparative Research: Selected proceedings of the ZVIIAHR Congress (p. 177).

آدم عبدالله الإلوري .(1986) .نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا ط/٢ المطبعة النموذجية.

علي أبولاجي عبدالرزاق .(2023) .قضايا اللسانيات الاجتماعية وانعكاساتها على الواقع الأفريقي (ط/١) مكتبة أيوما.

ختام، جواد .(2016) .التداولية :أصولها واتجاهاتها) ط .(1دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

صحراوي، مسعود .(2005) .التداولية عند العلماء العرب (ط/١) دار الطليعة.

بلولي، فرحات .(2011) .التداولية في المعاجم العربية" :المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ."مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري،.144–143 ,(5)

فلفول، هشام، & العلوي، شفيقة .(2021) .امتدادات الافتراض المسبق في ديوان لافتات لأحمد مطر .مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر،.145–144 ,(2)4

حويذق، محمد العربي .(2022) .الاستلزام الحواري والافتراض المسبق في الأحاديث النبوية القدسية) أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار الجزائر.(

إسحاق، عبد الشكور يوسف .(2021) .آليات الحجاج في خطب الدكتور إبراهيم عمر كسفا) ط.Mansas Design & Prints .(1

السايح، زكية .(2006) .علاقة المتلازمات بالمجاز من خلال أساس البلاغة للزمخشري :دراسة دلالية معجمية .مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، (5), 62.

الحمّامي، منية .(2006) .تعريف المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث (المعجم الوسيط) مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية،.231 ,(5)

Lyons, J. (1987). Language, meaning and context (ʿAbbās Ṣādiq al-Wahhāb, Trans.). Baghdad.

Ullman, S. (n.d.). Meaning and style (p. 15).

Hartman, R. R. K., & Stork, F. C. (1972). Dictionary of language and linguistics (p. 41). England.

بن مراد، إبراهيم .(2006) .الوحدة المعجمية بين الإفراد والتضام والتلازم .مجلة الجمعية المغربية للدراسات المعجمية،.23 ,(5)

الحلوة، نوال بنت إبراهيم بن محمد .(2012) .المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص :مقاربة نصية في مقالات د .خالد المنيف .مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،.61 ,(3)14

القاسمي، علي .(n.d.) .التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها) ص–27 28).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر .(1985) .البيان والتبيين) تح .عبدالسلام محمد هارون، ج1، ص .(21-20القاهرة :مكتبة الخانجي.

الثعالبي، أبو منصور .(1972) .فقه اللغة وسر العربية) تح .السقا وآخرين، ص .(106القاهرة :مكتبة الحلبي.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة .(1972) .المعجم الوسيط) ط .(2مادة) ر و د(، ص381؛ مادة) ش غ ف(، ص.486

حسام الدين، كريم زكي .(1985) .التعبير الاصطلاحي :دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية) ط .(1القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية.

سالم، ثناء محمد .(n.d.) .الأبعاد التداولية للتعبير الاصطلاحي وكفاءات طرفي الخطاب .منشور ضمن مشروع" علم النص "في كرسي بحث جريدة الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.

قويدر، حسن .(2000) .العبارة الاصطلاحية في اللغة العربية :ماهيتها، خصائصها، مصادرها، أصنافها) ط .(1دمشق :دار كنانة للطباعة والنشر.

المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد .(1994) .المقتضب) تح .محمد عبدالخالق عضيمة، ج4، ص .(277 القاهرة.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين .(n.d.) .أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) تح .محمد محيي الدين عبدالحميد .(بيروت :المكتبة العصرية.

المتوكل، أحمد .(1995) .قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية :بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي) ص .(137–133الرباط :دار الأمان.

القرآن الكريم، سورة يوسف، الآيات 5،8 ،18 ،19 ،21 ،23 ،30 ،51 ،58 ،59 ، 63.

القرآن الكريم، تفسير القرطبي، ص23